حوارنا المحلي والعالمي :

قبل وبعد
مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني

اللواء الدكتور / محمد بن فيصل أبو ساق

رئيس لجنة الشئون الأمنية بمجلس الشورى

في خضم تحديات دخولنا إلى القرية العالمية أبرزت عوامل الاتفاق ومصادر الاختلاف بين مجتمعنا والآخر الخارجي

ثقافة الانفتاح الإعلامي والمعلوماتي تتفاعل بشكل أكثر نضجاً وواقعية

قبل أن نتحدث عن النتائج التي حققها مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني، في إطار رؤية المركز ورسالته والأهداف المرحلية التي رسمت له؛ علينا أن نتفكر، ولكن بذاكرة قوية، كيف كانت حال الحوار قبل فعاليات المركز التي بدأت باللقاء الفكري الأول في مدينة الرياض في شهر جمادى الأولى ١٤٢٤هـ، وعلينا أن نتذكر أيضاً أن المملكة العربية السعودية قد حباها الله سبحانه وتعالى بنعم جليلة، من أهمها: وجود الحرمين الشريفين والمشاعر المقدسة، على أرضها الطاهرة. كما أن الموقع الجغرافي المتميز للمملكة، وثروات المملكة الطبيعية، وكذلك التنوع الاجتماعي؛ تعد ميزات للمملكة من ناحية، ومن ناحية أخرى تعد تحديات كبيرة لنهضة مجتمعها.

فهذا التميز لمكانة المملكة يكتسب قوة مضافة بالتعددية الاجتماعية مذهبياً وعرقياً. وقد جاء مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني ليضاعف القيمة الاجتماعية المضافة؛ بمدٍّ أسوار وجسور ذهبية تحيط بالمجتمع السعودي وتتواصل عبر شرائحه وتعدديته ومناطقه وقواه.

وقبل عقد ونيف من الزمن تعالت الأصوات، وثارت الفعاليات، محذرة من مغبة استقبال البث العالمي المباشر، المفترض أن يصل إلى فضائنا المحلي؛ ليكشف لنا أشياء وقيماً وأفكاراً قد لا تروق لنا، ويكشف عنا مثلها. وقبل أن نتهيأ بالقبول أو الرفض للقادم من خارج البلاد، عبر وسائط وتقنيات لا نزال نجهلها؛ كنا نعيش في دوائر فكرية محلية منعزلة عن بعضها بشكل كبير. وكانت سرعة البث المباشر الخارجي بتعدد وسائله وأساليبه، وبتنوع محتوياته الفكرية، أسرع من تلك الدفاعات والسواتر المحلية، التي تنوعت استراتيجياتها بين معنوي ومادي، وبين صاخب وهادئ.

وتحولت الاستراتيجيات والسواتر الدفاعية المضادة للبث المباشر الحتمي إلى تكتيكات متعددة، بين السالب والنشط. فمن التكتيكات ما اعتمد التوعية والتحصين الفكري والتثقيف والتحذير والتخويف والإرشاد، بشتى الوسائل والأساليب المتوفرة حينها. وقد زخرت الصحف ووسائل الإعلام المحلية بالتغطيات الهائلة عن مخاطر البث المباشر وسلبياته، وكان لبحوث الجامعات ودروسها ومحاضراتها وكذا المنتديات الأكاديمية نصيب وافر. أطروحات مكثفة كان لها رواج كبير ومناخ مزدهر نحو منع البث المباشر أو صده نسبياً. وتكتيكات أخرى كانت مادية وتنفيذية تنوعت بين منع التوريد أو التهريب أو التركيب لكل وسيلة تسهم في جلب أي نوع من أنواع البث المباشر. وخرجت بعض التكتيكات إلى مبادرات فردية من تلك التي يتصرف فيها الأشخاص من تلقاء أنفسهم آخذين تنفيذ القوانين على عواتقهم بإجراءات لا تخلو من الحماس والعاطفة وبابتكار الجديد من أساليب المنع والحجب للوسائل وليس للأفكار.

وفجأة كان وصول البث المباشر المتنوع في وسائطه ومضامينه وتقنياته يغطي الأرض والفضاء بشكل مباشر وآني وبطيف لا يحصى من الأفكار بخيرها وشرها، رغم كل ما سبق من إجراءات ومصدات وسواتر دفاعية، ورغم أن مصطلح البث المباشر كان يملأ الفضاء الفكري إلاأنه سرعان ما اختفى وبشكل عجيب تحت رخم البث المباشر نفسه وكثافته التي أصبحت أمراً واقعاً. وهكذا كان البث المباشر الذي تخوفنا منه قد حمل لنا كل جديد وغريب، وأوصل إلينا كل بعيد، وأصبحنا مع عالمنا الفسيح بعيده وقريبه تحت شمس واحدة وظل واحد.

وفي خضم تحديات دخولنا إلى القرية العالمية عبر التواصل المكثف المرئي والمسموع والمقروء؛ برزت عوامل الاتفاق ومصادر الاختلاف بين مجتمعنا والآخر الخارجي. وكان لزاماً لنا ولغيرنا أن تتقارب رؤانا وتتفق مصالحنا للبحث عن القواسم المشتركة لتعظيمها، وعن أسباب الاختلاف والفرقة للتقليل من مخاطرها.

وفي الوقت الذي كانت ثقافة البث المباشر قد انتعشت بالتحذير من مخاطره القادمة؛ أصبح البث أمراً واقعاً حمل معه ثورة الاتصال وطفرة المعلومات. وأخذت ثقافة الانفتاح الإعلامي والمعلوماتي تتفاعل بشكل أكثر نضجاً وواقعية. وهكذا بدأت الحاجة إلى معرفة الآخر، وللتواصل مع الآخر وللاعتراف بالآخر، بوسائل تلائم طبيعة الضخ الإعلامي والفكري، وآنية الاتصال والتواصل المعرفي العالمي.

المركز حقق مكاسب يصعب إحصاؤها من أبرزها تلك الجسور الاجتماعية بين أطراف مذهبية وفكرية لم يسبق لها هذا التواصل

وتحولت الاهتمامات نحو مفهوم الحوار العالمي وحتميته تحت معطيات العالم الواحد والمصالح المشتركة. وبقدر ما ارتفعت الأصوات نحو الحوار العالمي عبر موجات الأثير العالمية في فضاء البث المباشر المتنوع؛ كان الحوار المحلي متقطعاً في جزر دوائر بثها محدودة وفي اتجاهات فردية وليس له قنوات ولا موجات ولا فضاء.

ولأن عظماء الرجال هم وحدهم من يغير وجه التاريخ برؤاهم التي تتجاوز الآفاق الراهنة والمستقبلية؛ كان الملك عبدالله بن عبدالعزيز (ولي العهد السعودي حينئذ) قد حدد رؤية وطنية سعودية للحوار الوطني السعودي المحلي، والحوار العالمي بين أتباع الأديان والثقافات الأخرى. وبدون مقدمات تمهيدية أطلق الملك عبد الله مشروعه الوطني لعقد اللقاء الوطني الفكري الأول لنخبة تمثل شرائح المجتمع السعودي في مدارسه المذهبية والفكرية تحت رعايته وتوجيهاته. وحقق اللقاء الأول نتائج غير مسبوقة وغير متوقعة في التحاور والتقارب بين المجتمعين بمنتهى الشفافية والمصداقية.

وتمّ إعلان تأسيس مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني في أواخر عهد المغفور له الملك فهد بن عبد العزيز. وكان إعلان تأسيس المركز قد جعل الأنظار تتحول نحوه بوصفه بيتاً كريماً ورمزاً للوحدة الوطنية؛ لاتساعه لمختلف الأفكار والرؤى المحلية، في أهم الشؤون الوطنية وأخطرها؛ مذهبياً وفكرياً وثقافياً وإدارياً. ودأب المركز على عقد عدد من اللقاءات الفرعية المتنوعة على مدار العام خلال سنواته الماضية ناهيك عن اللقاء الفكري السنوي. وطاف المركز بلقاءاته عبر جغرافية المملكة مناطقياً وفكرياً واجتماعياً فكان لكل منطقة نصيب وافر في استضافتها لفعاليات المركز. وقد حقق المركز مكاسب يصعب إحصاؤها في هذه العجالة، وكان من أبرزها تلك الجسور الاجتماعية بين أطراف مذهبية وفكرية لم يسبق لها هذا التواصل والتحاور قبل بروز المركز وانطلاق فعاليات الحوار الوطني.